مكتبتك الخاصة

للأستاذ إيليا حليم حنا

١ — المكتبة الخاصة ضرورة لازمة :

المكتبة الخاصة ضرورة لازمة من ضرورات كل منزل في هذا العالم المتجدد التغير . والكتب أداة قيمة لإحكام الصلة بيننا وبين تيارات الفكر الحديث والقديم ، في صفحاتها نصت إلى أصوات تتحدث معها من خلال الدهور . ولا غنى لإنسان يشعر أنه عضو نافع في المجتمع عن الكتب الحافزة للشعور القوية للنفوس التي تعالج موضوعاته المحببة إلى نفسه وتعينه على أداء أعماله ومشروعاته الهامة وتحمل له مشاكله وتوقفه على ثمار العقل البشري في نواحي النبوغ المختلفة العديدة حتى لا يتخلف عن قافلة الزمان . قال ما كولي الناقد العظيم والكاتب المؤرخ الكبير : لو طلبوا مني أن أصير ملكا بتاج على رأسي وقصر فخيم أسكن فيه وما كل ومشارب فاخرة ، وملابس مزخرفة وحدائق وعربات وخيول ومئات من الخدم — لكن بدون كتب أقرأها — فإني أرفض أن أكون ملكا ؛ لأنني أفضل السكين الساكن في كوخ حقير يقرأ ما لديه من الكتب على الملك الذي لا يحب أن يقرأ .

وقال أوجستين بريل (يوجد مكان واحد في العالم يمكن للشخص أن يكون فيه سعيداً ، إنه المكتبة .)

والقراءة هواية مفيدة فإنه بين كتب مكتبتك تدفن آلامك وأتعابك بعد العمل المضني تختار الكتاب الذي يلائم تفكيرك وشعورك . يقول العالم الكبير السرجون هرشل (لو تضرعت إلى الله وكانت دعواتي مضمونة الأجابة من أجل موهبة تكفيني مؤونة تقلبات الظروف وتبدلات الأحوال ، وتكون نبع سعادة وسرور لا ينضب ، وعدة أتقي بها سهام الأيام ، ودواء يشفيني من كل سقام ، لكانت تلك الموهبة محبة الكتب والرغبة في المطالعة .)

٢ — كيف تكون مكتبتك ؟

الناس يختلفون في أذواقهم وميولهم ومشاربهم ومقاصدهم

وبنسبة هذا الإختلاف يتباين تذوقهم للكتب وتقديرها . لذلك كان تكوين المكتبة لا يخضع لقواعد ثابتة ونواميس معينة ، فكل يختار كتبه بما يتفق وميوله وشعوره وذوقه وعمله .

يقول (أوجستين بريل) جميل أن توت مكتبة ولكن الأجمل والأفيد من ذلك أن تجمع أنت كتب مكتبتك واحداً بعد الآخر ؛ فالمكتبة لا تجمع دفعة واحدة ، ولكنها تنمو حسب ذوقك وحاجتك النفسية العابرة وتأملاتك وخواطرك ومشاكلك وأبحاثك وعملك . دع الظروف التي تمر بك تدفعك إلى شراء الكتاب وبذلك يكون بينك وبين كتبك اتصال روحي وفكري . نظرة واحدة خاطفة إلى كل منهما وهو على رفه ترجع بك إلى وقت شرائه والفكرة التي كانت تخامرك في ذلك الوقت ، وما يحوي بين دفتيه من أفكار وآراء . ولا يفيد أن تكون مكتبتك بشراء كتاب تلو الآخر إن لم تفرغ من قراءة كل كتاب قبل أن تشتري غيره ؛ فإن تكديس الكتب بدون قراءة يجعل المكتبة قليلة الفائدة لصاحبها . ولكن هناك كتباً يجب أن تزود بها المكتبة الخاصة دفعة واحدة ؛ لا يستغني عنها القارىء المثقف الذي يطالع للالمام بأنواع المعارف المختلفة ، أو القارىء الأديب الذي يقرأ للاستلهام ، وهي المعاجم ودوائر المعارف باعتبارها مراجع ، وكتب النحو والصرف والبلاغة والنثر الفني والدواوين الشعرية للتمكن من اللغة وفنونها ومفرداتها وتراكيبها .

٣ — ماذا يجب أن تحوي مكتبتك :

يجب أن تحوي مكتبتك الكتب التي تنمي قواك العقلية جميعها نمواً متناسباً . ويمكن حصر هذه الكتب فيما يلي .

(أ) كتب تتعلق بعملك :

أول ما يجب أن توليه عنايتك من الكتب هو الأبحاث التي تتعلق بمهنتك . ويلزم أن تتابع كل ما يكتب عنها في اللغات التي تعرفها وبذلك ترقى بعملك وتكون حجة ومرجعاً فيه وتراه شيئاً متجدداً دواماً بإدخال عوامل التحسين التي سبقك إليها الخبراء . وهذا يعود عليك بأحسن النتائج الأدبية والمادية فإن أفضل ما تفعله لتنجح ماليا هو إتقان عملك وبلوغ الغاية فيه فتصل إلى المال دون أن تقصد إليه مباشرة .

ومن الجهل أن يعتقد الشاب أن الكتب القليلة التي درسها في حياته المدرسية كافية لتسيره في عمله ، ومن ثم لا يقرأ شيئاً يتعلق به فيركد ويتضاءل ، ولا يرفعه عمله بل هو ينزل بعمله إلى مستوى دون المطلوب فيجرم في حق المجتمع ويحرم وطنه من موهبة كامنة فيه كانت تظهر لو أنه تمشى مع الزمن وضاعف معلوماته ووقف على آخر ما جد في عمله من تقدم فتعظم شخصيته ويكسب ثقة نفسه وغيره في مهنته .

اقرأ وادرس واطلع على أحدث ما جد في عملك وتابع سيره ونموه حتى ترقى به ويرقى هو بك .

(ب) كتب تتعلق بهوايتك :

وهناك الكتب التي تتعلق بهوايتك التي تلجأ إليها في أوقات فراغك لتعالج الملل الناتج عن عملك وتجدد نشاطك وتعيد لنفسك اتزانها وتعطيك مهارة عقلية أو يدوية أو الاثنتين معاً .

هوايتك هذه يجب أن تتفقدها لتنمو ، ويجب أن تقف على أفكار وآراء وأعمال الآخرين فيها حتى تكون ناضجة تعطيك لذة أكبر وفائدة أوفر فتشعر بالسعادة في التطور والتجدد والنمو والتوسع :

وقد تصبح الهواية يوماً عملك الذي تعيش به وترتزق منه وتظهر فيه مواهبك الكامنة أكثر مما تظهر في مهنتك أو حرفتك. ويساعد الاطلاع على كل ما يختص بهوايتك من كتب ومجلات ونشرات ومطبوعات دورية على نموك فيها وتنمية شخصيتك وترقية ذهنك .

(ج) كتب تختص بالمرأة والأطفال :

يغفل كثير من المثقفين نصيب المرأة والأطفال في المكتبة الخاصة ولا يهتمون إلا بنواحيهم وما يتعلق بهم وحدهم بينما يجب الاهتمام إلى حد كبير بركن المرأة والطفل في المكتبة الخاصة وتغذية هذا الركن بأحدث الكتب التي تبحث في شئون المنزل وإدارته وتربية الأطفال وتنشئتهم وكل ما يتعلق بالمرأة والفنون النسوية ويكوّن الزوجة والأم والمواطنة العاقلة الكاملة في خلقها ومثلها العليا .

وهذا الركن في المكتبة الخاصة أكبر معين للوالدين على تربية أبنائهم وتعويدهم حب القراءة بوضع ما يلفت نظرهم ويناسب مداركهم وأطوار نموهم العقلي بين أيديهم وأمام ناظرهم . ويجب أن يحوي هذا الركن معجماً صغيراً يستخرج منه الطفل ما يصعب عليه فهمه من المعاني بإرشاد أحد والديه ، ودائرة معارف مبسطة بجانب الكتب التي يرى الوالدان أنها موضع أسئلة الطفل وميوله

أن ما يعرفه الطفل بهذه الطريقة لا يمكن أن ينسى علاوة على أنه يتعود القراءة ومتعة الاطلاع بالتوجيه الحسن وتأثير هذا الوسط المنزلي الثقافي الراقي فيه .

(د) كتب للثقافة العامة :

وتأتي أخيراً الكتب التي تتناول الثقافة العامة في كل ما يلذ لك قراءته وما تدفعك إليه حاجتك النفسية ومشاكلك وذوقك وما يجب أن تقف عليه من أنواع المعارف والثقافات التي بدونها تكون متخلفاً عن عصرك الذي تعيش فيه . ومن الخطأ أن تهمل التراث القديم وكتبه الخالدة التي عاصرت كل الأزمان والحضارات ؛ فالكتاب النفيس الخالد كما قال ملتون هو دم الحياة الثمين ، المقطر من روح كبيرة ، محنطاً ومحفوظاً لحياة بعد الحياة

ويخطىء الشاب الذي نال القليل من التربية المدرسية عندما يندب سوء حظه الذي لم يتح له الحصول على الثقافة المدرسية اللازمة فإن أمامه فرصة التثقيف الذاتي ؛ فإنه بين مجلدات مكتبته يتصل بأذكى العقول في أرقى الأمم ويصل إلى درجة عالية من الثقافة يحسده عليها حائزو أرقى الشهادات الذين لا يقبلون على القراءة ويكرهون الكتب . يقول (ارنولد بنيت) لا أرى سبباً يمنع أي رجل متوسط الذكاء بعد أن يقضي عاماً في القراءة المتواصلة أن يصبح قادراً على الهجوم على أسمى ما أنتجه الإنسان من المؤلفات في التاريخ أو الفلسفة .

في ركن الثقافة العامة هذا تم بأحسن ما سبق التفكير فيه ثم تبدأ أنت نفسك فتفكر في حل ما يصادفك في الحياة من المسائل في الآداب والفنون والسياسة والدين والمسائل الدولية والعلاقات المنزلية .

٤ — فلسفة شراء كتاب :

عند شراء كتاب ضع أمامك الاعتبارات الآتية :

١ — عندما تدخل مكتبة لشراء كتاب كون لنفسك فكرة سريعة عنه بملاحظة العنوان والمؤلف ومكانته ومؤلفاته الأخرى

التي تعرفها والناشر ومركزه الثقافي والسنة التي طبع فيها الكتاب ثم المقدمة والفهرس وطريقة عرض الموضوع .

٢ — اختر دور النشر الشهيرة لترسل إليك نشراتها وقوائمها عن أحدث مطبوعاتها في المعارف المختلفة لتكون على اتصال بآخر التيارات الفكرية في الموضوع الذي تخصصه بالدراسة الدقيقة وتكرس له جهودك .

٣ — اهتم بالمراجع اللغوية والفنية والتي تتصل بنوع عملك والموضوعات المختلفة فهذه عون كبير لك في تسهيل أبحاثك وجعل مادتها ميسورة في متناول يدك .

٤ — الكتب المختارة لا تصلح أن تكون مكتبة ذات أو ثقافي عميق ولكنها نواة لشراء الكتب الأصيلة الدسمة في نفس الموضوع . أنها أداة للتثقيف السطحي فقط .

٥ — لا تشتر أكثر من كتاب واحد في المرة الواحدة ؛ ولكن إذا وجدت عدة كتب متممة لناحية من نواحي ثقافتك أو لبحث تشتغل بإعداده فضمها في برنامج قراءتك اليومية في أقرب فرصة وإلا فستجد في يوم من الأيام صفوفاً من الكتب على الرفوف لم تقرأها وقد لا يسعفك الوقت بأن تقرأها بعد ذلك .

٦ — لا تشتر الكتب لاقتنائها بل للانتفاع بها . واجعل أساس شرائها حاجة نفسية أو عملية حاضرة كأن تحل لك مشكلة أو توجهك وجهة صحيحة في عملك أو تكمل لك بحثاً علمياً أو أدبياً حتى تقبل على قراءتها بلذة وشغف بمجرد شرائها . ولكن عندما يعجبك كتاب لرغبة عارضة لا ترى إلى هدف ، فإنك تتوانى في قراءته وتتكدس لديك الكتب دون أن تؤدي غرضها المقصود .

٧ — اختر من الكتب ما يجعلك أكثر تعلقاً بأملك ، ويعطيك آراء جديدة في الحياة تجعلك أكثر سلاحية لتعيش وتخلق في نفسك الحماس وتجعلك أكثر إصراراً على الاندفاع نحو هدفك . وابتعد عن الكتب التي تغذي المثل الدنيا الحقيرة والتي تقلب غرائزك ولا تسمو بها فإنها تهدد مستقبلك وتحطم أملك وتخلق منك إنساناً مسلوب الإرادة ضعيف الشخصية .

٥ — احتفظ بكتبك ورتبها :

لا تكدس كتبك بعضها فوق بعض بل ضعها على رفوف أو في خزائن ورتبها بحسب موضوعاتها بطريقة تسهل عليك مراجعتها بسرعة حتى لا تضيع وقتاً في البحث عن كتاب تريده فتضطر أن تقلب كل كتبك رأساً على عقب فتفقد الدافع وتخسر الحماس الذي تشعر به لقراءته أو تفوت عليك فرصة الاطلاع عليه للاستعانة به في بحث تعده .

لا تكن ممن يلقون بالكتاب لأنك فرغت من قراءته أو لأنك لم تتذوقه . إن الكتاب الذي لم يحز إعجابك في وقت من الأوقات قد يصبح مدار اهتمامك بعد ذلك عندما يفيدك للاستشارة به في موضوع يشغلك أو يوضح لك رأياً غمض عليك أو يحل لك مشكلة تقلقك . والذي لا تهضمه اليوم قد تهضمه غداً عندما ينمو ويزداد زادك العقلي .

٦ — الألوان في حجرة المكتبة :

للألوان أثر كبير في نفسية الإنسان، فمنها ما يرتاح إليه ويجعل الراحة والهدوء يسريان في جسمه ونفسه ، ومنها ما يجعله منقبضاً متململا . فالأزرق والأخضر المائل للزرقة والرمادي تدعو للراحة وتبعث في النفس الارتياح . والأزرق النامق والرمادي النامق يدعوان للوجوم والإنقباض .

وللألوان أيضاً أثرها في امتصاص وانعكاس الضوء وفي جعل الحجرات تبدو ضيقة أو متسعة . فإذا كانت حجرة مكتبتك ضيقة كثيرة الضوء فاستعمل الألوان الزرقاء أو الرمادية أو الخضراء أو الخضراء الضاربة للزرقة فإن هذه الألوان تمتص الضوء وتجعله مريحاً للأعصاب فضلا عن أنها تشعر الناظر أن الحجرة فسيحة .

وإذا كانت النوافذ في الجهة الشمالية فإن ضوء الشمس لا يدخلها إلا قليلا جداً ، وأيضاً إذا كانت الحجرة قليلة النوافذ وجب أن تستعمل فيها الألوان الزاهية مثل الأصفر والبرتقالي والأخضر الضارب إلى الصفرة والقرنفلي الفاتح والخوخي الخافت فهذه الألوان تعكس الضوء ولكنها تجعل المكان يبدو ضيقاً .

وإذا سقط نور المصباح على ألوان زاهية كالأحمر والأصفر والبرتقالي فإنه يعكس هذه الألوان على جدران الحجرة ؛ أما الألوان الباهتة مثل الأزرق والأخضر والرمادي فإنها تخفف من حدة الضوء وتجعل نور المصباح أقرب إلى الضوء الطبيعي فيرتاح له النظر والنفس .

(أسيوط)

إيليا هليم هنا
مدرس أول اللغة الإنجليزية والآداب
مدرسة التهذيب الوسطى . الأبيض . سودان